النظرة الواقعية إلى المرأة وعمق الطرح في فكر الإمام علي (عليه السلام) (دراسة في نهج البلاغة)

المدرس الدكتور
حميد سراج جابر الأسدي
جامعة البصرة – كلية التربية

كثيرة هي المواضيع التي طرقها الأمام علي عليه السلام في خطبه ورسائله ووصاياه وكلماته القصار والتي جمعها كتاب نهج البلاغة الخالد ، فقد تعددت هذه المواضيع وتنوعت لتكون صفة الشمولية هي البارزة فيها ، وربما نجد أن الأمام علي عليه السلام قد أستوعب جوانب الحياة كافة في نهج البلاغة ، ولم يتحدد بمناسبة الكلام ، وانما بأبعاده المختلفة ، لذلك فلا عجب أن تكون المرأة قد أخذت حيزا" كباقي المواضيع في النهج ، بل إن ذكرها أخذ يتنوع بتنوع أدوارها ومراحل حياتها ، وقد يعتقد البعض للوهلة الأولى أن الإمام عليه السلام كان شديدا" في وصف المرأة ، وأنه ينظر لها نظرة دونية تختلف عن الرجل ، بيد أن الدراسة الواقعية لكلامه عليه السلام تظهر العكس من هذا المفهوم تماما"، كما أنها تضعه على خط البحث العلمي الدقيق .

ومن هنا انطلقت هذه الدراسة لترسم صورة حقيقية عن النظرة الواقعية للمرأة وعمق الطرح في فكر الأمام علي عليه السلام ، من خلال ما ذكره في نهج البلاغة ، فقد أنطلق في حديثه عنها من تركيبتها وتكوينها الجسدي والنفسي تارة ، ومن واقعها الذي عاشت فيه والذي ترك نقاطا" سوداء في حياتها حتى بان الفجر تارة أخرى ، ومن فلسفة أحكامها الشرعية تارة ثالثة ، فعندما يشير عليه السلام إلى صفاتها تبعا" لطبيعة تكوينها فلا يعني ذلك أنه قد نال منها أو حقرّها ، لأن هناك وضع نفسي وجسدي خاص عند المرأة من دون الرجل ، كذلك حينما يطرح ظروف معيشتها والأساليب الخبيثة لإذلالها فهو يشخص

مشكلة قائمة تحتاج إلى الحلول التي تكفل الإسلام بها ، اذ اصبح الإسلام حدا" فاصلا" بين الواقع الفاسد لحياة المرأة ومرحلة تطورها .

وقد بيّن الأمام عليه السلام أيضا" بعض الأحكام الشرعية التي تخص المرأة ، وفلسفة تشريعها ، فلم يذكرها لمجرد بيان ضعف هذه المرأة أو اختلافها عن الرجل ، وانما أظهر الأحكام التي تتناسب معها كما أن الرجل له أحكام خاصة به .

تكوّنت الدراسة من ثلاثة مباحث ، الأول منظارا" لطبيعة التكوين للمرأة ، اذ جاءت كلمات الإمام علي عليه السلام بما يتلاءم مع تلك الطبيعة ، وليس بمعزل عنها ، وهذا هو تفسير طبيعة كلامه عليه السلام في هذا المبحث .

أما المبحث الثاني فكان عن منظار الواقع المعاش ومراحله التطورية ، وهو نظرة الأمام عليه السلام للظروف التي مرت بها المرأة في الفترة المظلمة ، والتطور الذي رفع من شأنها بعد مجيء الإسلام حتى برزت نساء خالدات تفوقن على الرجل .

فيما كان المبحث الثالث هو منظار الأمام علي عليه السلام للأحكام الشرعية الخاصة بالمرأة ، وطبيعة هذه الأحكام ، واختصاصها بالنساء .

((المبحث الأول))

منظار الطبيعة التكوينية للمرأة :

تختلف المرأة أختلافا" كليا" عن الرجل من الناحية التكوينية والتركيبية لا على سبيل الهيئة الخارجية فقط ، وأنما من حيث التصنيف أيضا" ، فطبيعة المرأة تحتم عليها أمورا" خاصة لا يملكها الرجل ، والعكس صحيح ، اذ أن هذه الطبيعة جعلت الرجل يتفرد بجوانب معينة من الحياة دون المرأة ، وهذا لا يعني الانتقاص منها وأنما هو جزء من التصنيف الذي يقوم على أساس الإمكانية التكوينية لكل من الجانبين ، وبذلك فأن الإشارة إلى هذا التصنيف لا يعني من أي باب الإساءة إلى صنف معين ، وانما هو تطبيق للواقع الفعلي ، أما إذا كان هناك خرق لهذا التقسيم الخلقي فهو من باب التجاوز والتعدي ، وليس من باب مساواة أو مشاركة أو ما إلى ذلك مما نسمع عنه كثيرا" من الادعاءات الباطلة .

وعليه فأن ما يشير أليه الإمام علي عليه السلام في هذا المقام لا يتعدى هذه الصورة ولا ينتقص من المرأة فهو بيان لواقع الحال ليس المقصود به المرأة بل المقصود به

الرجل والمرأة معا" ، فهو حينما يذكر البعض من صفاتها كأنه يذكر صفات الرجل في آن واحد ، وهو بلا شك لا يخرج عن ميدان التصنيف الذي ذكرناه ، كما سنرى .

والأمام عليه السلام ينطلق هنا فيما يطرحه عن المرأة ومستوى تفكيرها من عدة منطلقات :-

١- منطلق فكري يرمي الى تثقيف وتنبيه المجتمع للأخطاء التي يقع بها ، والتي تسيء للمرأة .

٢- منطلق إصلاحي يحدد التقسيم الحقيقي للإمكانيات المتاحة للمرأة حسبما يسمح به تركيبها .

٣- منطلق تبليغي للآثار الناجمة عن سوء التقدير لهذه الإمكانيات .

وقد تنوعت كلمات الأمام علي عليه السلام في هذا المضمار وتدرجت في مضمونها وفي وقعها على البعض حتى خيّل إليهم بأنه أراد أن يحط من مكانة المرأة ويلغي دورها في الحياة ، الا أن استقراء هذه الكلمات يؤكد أنها لا تخرج عما ذكرناه من المقصد التثقيفي الإصلاحي والتبليغي ، وهو جزء من الدور الذي أضطلع به الأمام عليه السلام في إصلاح الواقع الفاسد ، وقد فهم الكثير من الناس هذا الدور فهما" خاطئا" ، لذلك قال الأمام علي عليه السلام (ما أبقى لي الحق من صديق)[١] .

وعلى العموم فقد أستعمل الإمام عليه السلام كلمات لها خصوصية بحق المرأة تتناسب مع شدة رغبته في إصلاح واقعها وبالتالي إصلاح المجتمع الذي تمثل أحد طرفيه، وأول هذه الكلمات التي أشار بها إلى إحدى الصفات السلبية في المرأة والناجمة من تركيبها هي ما يخص موضوع الغيرة إذ قال عليه السلام (غيرة المرأة كفر ، وغيرة الرجل أيمان)[٢] والغيرة آفة كبرى لها مخاطر جمة لأنها تمنع ما أحل الله[٣] ، وهذا الكلام له ميدان رحب لا يقتصر على جنس معين ، فهو تشخيص لمرض يتعلق بـ :

١- الزوجة وهي المعنية بالأمر ، والتي تتحمل الآثار السلبية المتوقعة لغيرتها .

٢- الزوج والذي قد يصاب بنفس المرض ولكن بشكل عكسي ، وأيضا" يتحمل الآثار ولكن هذه المرة لعدم غيرته .

٣- العائلة وهي الخاسر الأكبر من تفشي هذا المرض .

٤- المجتمع والذي يتكون من مجموع العائلات .

وهنا يجدر بنّا أن نتسأل عن سبب نعت الأمام عليه السلام لغيرة المرأة بالكفر والذي يبدو أنه يرجع إلى عدة أمور :-

١- تخلي المرأة عن مطالب الشرع من أمور تخص الزوج وانجرارها وراء عاطفتها القوية ، وعدم سماع صوت العقل تاركة دينها ومؤمنة بعاطفتها ، وهذه النقطة بالذات نفهم منها التأكيد على الزوجة المؤمنة التي تحسب حساباتها ضمن إطار الشرع المقدس .

٢- أن هذه الغيرة تعمل على تدمير مجتمعات كاملة ، إذ إنها اشبه بعقاب جماعي للعائلة والمجتمع الذي تقع المرأة ضمنه ، فالآثار السلبية ليست فردية وأنما شاملة حسب التقسيم السابق .

٣- ان هذه النتيجة تحصيل حاصل لجمع النقطتين السابقتين فترك الدين وتدمير المجتمع هو الكفر بعينه .

بقي علينا أن نذكر إن استحسان غيرة الرجل لا يأتي في كل المواضع بل أن منها ما يرجع بشكل سلبي على المرأة ، ومثلما أصبحت غيرتها على الرجل كفر ،ربما تكون غيرة الرجل التي ليست في موضعها لها نفس الحكم والآثار ، وهذا ما نلمسه من قوله عليه السلام في وصيته لأبنه الإمام الحسن عليه السلام (إياك والتغاير في غير موضع غيره، فأن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم والبريئة إلى الريب) [٤].

ولو أمعنا النظر في نتيجة هذا النوع من الغيرة نجد انه مرادف تقريبا" لنتائج غيرة المرأة فالأثار بالتالي تقع على العائلة والمجتمع ، اذ أن هذا النوع يجعل المرأة الصالحة امرأة طالحة[٥] أو على أقل تقدير يزرع الشك الذي يعد بنفسه آفة كبيرة يصعب القضاء عليها الا بعد دفع الثمن غاليا" .

وقد أخذ خطاب الأمام علي عليه السلام عن المرأة بعدا" أخر يتعلق بطبيعة تفكيرها ، وإقحامه في ميدان لا يستوعب حجمه الفعلي نظرا" لعدم مروره بسلسلة من الخبرات التي تتضح من هذا التفكير ، إذ أن تكوين المرأة كما مرّ قد جعلها تختص بمساحة ليست بالكبيرة ، ربما تشمل البيت بالدرجة الأساس وبعض الأماكن الأخرى التي تتعلق بالعمل وما إلى ذلك ، وهو بطبيعة الحال عمل له نوعية خاصة وبالتالي فقد أشار الأمام علي عليه السلام إلى هذه الفكرة بمجملها بتحذيره أبنه الأمام الحسن عليهما السلام

من مشاورة النساء قائلا" له (وإياك ومشاورة النساء فأن رأيهن إلى أفن ، وعزمهن إلى وهن)[٦] والأفن هنا هو النقص ، والوهن كما هو معروف الضعف [٧].

والنتيجة من هذا المعنى هي أنه عليه السلام قد أشار إلى النقص الحاصل في رأي النساء ، وبالتالي فهو لا ينصح بأن يؤخذ بالرأي الناقص طالما أمكن أيجاد أراء كاملة نسبيا" ، ولكن هناك أمور لافتة للنظر في هذا الخطاب يمكن أن ندرجها بما يلي :-

١- أن الأمام عليه السلام لم يقطع بفشل رأي المرأة أو عدم صوابه ، وأنما أشار ألي نقصه وهو معنى كلمة أفن .

٢- يدل سياق الكلام على أن الأمام علي عليه السلام قصد المشاورة في أمور الدولة بشكل أساس، وهو أشبه ما يكون بوصية عامة لم يكن الأمام الحسن عليه السلام هو المعني بها ، وأنما كل المتصدين لموقع القيادة ، ولعل قوله عليه السلام (فأن عزمهن إلى وهن) هو خير دليل على ذلك لاسيما إذا ما علمنا أن هناك ترابطا" وثيقا" بين الرأي وبين العزم في تطبيقه ، وقد وصف الأمام عليه السلام هذا العزم بالضعف .

٣- لم يشر الأمام عليه السلام إلى النساء بصفتهن المعروفة ، وأنما أراد الإشارة إلى أمر نسبي في مسألة مهمة هي مسألة إبدال المواقع مع الرجال ، وإنشاء مجلس شورى نسوي على غرار مجلس شورى الرجال المعروف في الإسلام ، فرأي النساء هو رأي ناقص نسبيا" وليس بشكل مطلق .

وحتى تتوضح الصورة بشكل جلي يجب أن ندرس الأسباب الموجبة لهذا الطرح والتي يمكن تقسيمها على النحو التالي :-

١- لقد أخذ الأمام عليه السلام العاطفة الجياشة لدى المرأة بعين الاعتبار ، والتي تؤثر بالتأكيد على رأيها ، إذ ربما تزداد فيه صفة الانحياز بتأثير هذه العاطفة مما يعود سلبا" على مضمون الرأي .

٢- قلة احتكاك المرأة في ميادين الحياة ، وانشغالها بأسرتها وتنفيذ الواجبات التي تقع على عاتقها مع الزوج والأبناء ، أدى إلى قلة اكتسابها الخبرات كما أشرنا فيما سبق الا ما يتعلق منها بمجال اختصاصها .

٣- ربما يكون منظار المرأة للأحداث خاصا" يتناسب مع تركيبتها الجسمية ، والتي قد لا تجعل لبعض الآراء حيزا" في تفكيرها على الرغم من كونها حلا" ناجعا" ، ومن هذه الآراء رأي المواجهة المباشرة مثلا" .

وهذا التفسير السالف لكلام الأمام علي عليه السلام ربما نجد له مصداقا" واضحا" في كلام أخر له عليه السلام عن مشاورة النساء إذ ذكر بعض المساوئ المستقبلية التي تخص العبادة والأمارة وسيطرة الفجار وما إلى ذلك ، وفضلا" عن هذا وفي معرض حديثه عن تلك المساوئ أشار إلى مشاورة الحكام للنساء إذ قال (فعند ذلك يكون السلطان بمشورة النساء)[٨] أي يكون لهن الدور الأساس في السيطرة على الحكم [٩] فلا ينسحب الكلام على المشاورة فقط ، وانما تتغير المعادلة لصالح النساء بما يعنيه ذلك من تعدي الاختصاص والتجاوز على حقوق الغير ، وفضلا" عن ذلك فأن الأمام عليه السلام أراد الإبلاغ عما سيحدث للناس في ذلك الزمان ، وهو في الوقت نفسه إبلاغ لسامعيه بعدم تجاوز الحدود التي وضعت لدور الرجل ودور المرأة ، وضرورة أن يكتفي كل واحد بموقعه الذي حدده العقل والشرع ، والاّ فستكون النتيجة مثل ذلك الزمان وما فيه من مساوئ .

وقد نجد أن الأمام عليه السلام أتخذ مرحلة جديدة في كلامه عن المرأة ، فبعد أن حذّر من مشاورتها بالصورة التي رأيناها أخذ يحدد مجال طاعتها في ذلك ويدعو إلى اتخاذ المواقف التي تكفل عدم طمع النساء فيما ليس لهن فهو يقول في وصيته لأبنه الأمام الحسن عليهما السلام (ولا تطمعها في أن تشفع لغيرها)[١٠] أي أن تصبح شفيعة لغيرها [١١] وهذا جانب سلبي الهدف منه درء عدة مساوئ :-

١- تدخل النساء التدخل المذموم وهو ما يخرج عن التصنيف العقلي والشرعي .

٢- ربما تكون هذه الإشارة واردة بخصوص تشفّع النساء في حكم أو أحكام معينة وهذا ما لا يقبل، لا سيما وأنه يعارض رأي الإسلام في ذلك .

٣- تشجيع النساء على الخطأ والاستغلال والطمع فيما ليس لها ، ومما يؤيد ذلك هو قول الأمام عليه السلام في مناسبة أخرى (ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر)[١٢] وهو بيان لطبيعة المرأة وعاطفتها القوية [١٣] ومعالجة لقضية مهمة لا تكاد تخلو جميع الأمثلة التي ذكرناها منها ، وهي مسألة دور

المرأة ودور الرجل واختصاص كل واحد منهما ، فحديث الأمام عليه السلام بصورة أخرى هو إشارة إلى عدم تجاوز هذا التصنيف حتى في حالة كون الأمر متعلق بجانب إيجابي ، لأن هذا ربما يكون أساس للتجاوز على مستوى أعلى حتى يصل إلى الخروج عن الحدود والدخول في المنكر ، ولعل الأمام عليه السلام مدركا" تماما" بأن هناك الكثير من التجاوزات التي ستحل في المجتمع فيما يخص شأن المرأة، والدليل على ذلك ما مرّ سابقا" من كلامه حول سيطرة النساء على السلطان في إشارة مستقبلية.

ثم أخذ الأمام عليه السلام يتكلم عن المرأة بشكل أجمالي واصفا" إياها بصفة عامة ، الا انه يستثني من هذه الصفة ما يكون شرحا" لها وموضحا" للالتباس الذي قد يحصل للوهلة الأولى ، لذلك يمكن أن نبيّن سمات هذا الكلام بما يلي :-

١- أن الأمام عليه السلام قد أتخذ من الكلام في النساء أداة غير مباشرة للوصول إلى الرجال ووعظهم من خطأ الوقوع في شرك فتنة النساء التي ليس لها ذنب فيها .

٢- أن الحديث لا يتعلق بالمرأة كأنسانة وانما هو يختص بالأنوثة وما تعنيه وما قد تسببه من فتنة مذمومة ، فصفة الذم تخص فتنة الأنوثة ولا تتعلق من بعيد أو قريب بالمرأة.

٣- ما جاء به الأمام عليه السلام هو تعابير مجازية الهدف منها تقريب الفكرة التي طرحت في النقطتين أعلاه ، ولم يكن يقصد منها الإساءة إلى المرأة .

وأول ما نبدأ به في هذا المقام هو قول الأمام عليه السلام(أتقو شرار النساء ، وكونوا من خيارهن على حذر)[١٤]وهذا الكلام يخص المرأة من جانب بعيد [١٥]، وليس كما يظهر إذ أن هناك أمران يحكمان هذه القضية وهما :-

<u>الأمر الأول</u> :

أن الشّر ليس مختصا" بالنساء ، وأنما مثلما هناك شرار النساء يوجد شرار الرجال، فهنا الكلام عام ولكن لأن الأمام عليه السلام في معرض الحديث عن المرأة ذكرها فقط دون الرجل الذي يجب اتقاء شره أيضا" .

الأمر الثاني :

بطبيعة لحال أن العقل يحكم [ن الناس الأخيار (النساء والرجال) لا ينبغي للآخرين أن يحذروا أو يخافوا منهم ، ولكن اختصاص الحذر الذي أكد عليه الأمام عليه السلام من النساء أنما يأتي من التأثر بهن حتى وأن كن (خيار النساء)لسبب بسيط وهو أن عملية التأثير هي ليست بمحض أرادة النساء أنفسهن وأن كنّ خيرات ، وأنما كما مرّ لا ذنب لهن فيها ، وهذا الأمر بالذات هو الذي أكده الأمام علي عليه السلام في كلام أخر ، وكأنه أراد الرد على سوء الفهم المتوقع إذ قال(المرأة شرّ كلها،وشرّ ما فيها أنها لابد منها)[١٦] وهذا القول هو على سبيل المجاز [١٧]اذ ان الجزء الثاني منه هو شرح للجزء الأول ، وتأكيد على أن المقصد العام هو الأنوثة وليس المرأة ، وقد سلف ذلك فيما سبق ، فالمرأة شرّ من حيث كونها فتنة لا لأنها تختلف عن الرجل ، وأنما لأنها مختصة بمثيرات الفتنة ، ولعل الأمر ينطبق من الناحية المجازية على قول أخر للأمام علي عليه السلام بهذا الخصوص اذ يقول (المرأة عقرب حلوة اللسبة)[١٨]واللسبة أي اللدغة[١٩] ولا أشكال أو شك في أن المرأة ليست عقرب ، وانما تعبير عن شباكها القوية التي تصيد بها فريستها ، وإذا ما تنّزلنا ولن نتنّزل وقلنا بأن وصفها بالعقرب الحقيقي هو المراد من كلام الإمام عليه السلام ، فلا يوجد هناك عقرب له لسعة حلوة ، أو مرغوب فيها ، بل أن التمثيل بالعقرب هو من باب التأكيد على شدة هذه الفتنة للآخرين كما يوصف بعض الناس بأنهم سباعا" ضارية ، فشدة فتنة المرأة هي العقرب الذي يلسع المفتون بها ، بل أن الأمام عليه السلام أشار في مورد أخر إلى أن هذه الفتنة أو طبيعة المرأة الأنثوية جعلتها ميالة إلى زينة الحياة الدنيا ، وهي زينة فاسدة بلا شك ، إذ يقول (وأن النساء همهن زينة الحياة الدنيا ، والفساد فيها)[٢٠]

وحينما نريد أن نفسر كل ما مرّ من أقوال على أساس أنها لا تسيء للمرأة وانما هي في صلب التقسيم الواقعي لطبيعة المرأة وطبيعة الرجل ، وحتى نؤكد ما مرّ ونستحصل النتائج المتوخاة من هذا المبحث يجب أن ندرس ما قاله الأمام علي عليه السلام عن بعض صفات المرأة وما يقابلها عند الرجل والتي هي أشبه ما يكون بالمقارنة المفيدة جدا" في هذا الإطار ، فقد قال الإمام عليه السلام (خير خصال النساء شرار خصال الرجال، الزهو ، والجبن ، والبخل فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمّكن من نفسها ،

وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها ، وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها)[٢١] فإذا كانت المرأة متكبرة لا تعطي نفسها ، وإذا كانت بخيلة فأنها سوف تحافظ على أموال زوجها ، ولكن بالطبع ليس البخل المذموم ، وانما الحرص على الأموال ، اما إذا كانت جبانة فهي تفزع من كل شيء يجابهها وهذه صفة جيدة عند النساء-[٢٢]

والشيء المهم فيما طرحه الأمام عليه السلام والذي نريد أستيضاحه هنا يندرج في سلسلة من الأمور وهي :-

١- هذا الخطاب هو تجسيد عملي لتقاسم الأدوار بين الرجل والمرأة حسب التكوين النفسي والجسدي .

٢- يعد كلام الأمام عليه السلام تعبير خفي عن ضرورة التفريق بين ما تتمكن منه المرأة وما لا تتمكن والعكس صحيح بالنسبة للرجل ، فلا يعني عدم قيامها ببعض الأعمال أن الرجل أفضل منهّا فربما تفوق الرجل في بعض الصفات كما أشار الأمام عليه السلام.

٣- أشار الأمام عليه السلام إلى بعض الصفات المستحبة في المرأة ، مثل حرصها على أموال زوجها وعدم أنفاقها فيما لا ينفع ، كذلك حفاظها على نفسها وعدم التمكن منها ، فضلا" عن ضرورة احترامها لتركيبتها بعدم الدخول فيما يتعارض وقوتها الجسدية .

((المبحث الثاني))

منظار الواقع المعاش ومراحله التطورية

لقد اتخذ الأمام علي عليه السلام من ذكره بعض المراحل التي مرت بها المرأة كأساس لبيان مظلوميتها ، وما عانته من ظلم واضطهاد ونظرة اجتماعية قاسية تارة ، ولإظهار الطفرة الكبيرة التي حصلت بعد مجيء الإسلام في مكانة المرأة تارة أخرى ، فالأمام عليه السلام أراد أن يصوّر ذلك الوضع السيء الذي كانت تعيشه المرأة وتلك النظرة الدونية لها ، ومحاولة سلخها من المحيط الذي كانت تعيشه ككيان غير مرغوب فيه الا بما يخدم المنافع ، وفي الوقت نفسه نجد أنه رسم صورة أخرى مطوّرة للمرأة جاءت كتعبير عن واقع حياتها بعد التطور الهائل في العلاقات الإنسانية والاجتماعية نتيجة ظهور الإسلام .

أولا" – مرحلة المظلومية والواقع الفاسد :

لقد تعرضت المرأة لوضع عبثي مقيت يتنافى مع أبسط حقوقها كأنسانة ، وعوملت وكأنها لا تنتمي إلى الرتبة البشرية ، وانما إلى ما دون ذلك ، وقد ترتبت على هذا الموضوع أثار خطيرة جدا" ألقت بضلالها على مجمل حياة الأسرة وبالتالي حياة المجتمع .

وقد شخّص الأمام علي عليه السلام هذه المشاكل في نهج البلاغة مصورا" إياها بشكل مستقل ومبينا" أثارها ، إذ يمكن أن نلاحظ أمرين فيما ذكره الأمام عليه السلام :-

الأمر الأول :- أنه لم يذكر هذه المظالم على سبيل الإبلاغ ، وأنما ذكرها بمعرض التشخيص والنقد ، لمعرفة مواقع الخلل في معاملة المرأة .

الأمر الثاني :- ذكر الأمام عليه السلام بعد تشخيص الظاهرة ونقدها العلاج الناجع لها ، وسبل توجيهها الوجهة الصحيحة .

وكانت إشارات الأمام عليه السلام محيطة تقريبا" بكل مراحل هذه المظلومية ، فهي توضح جانب المعاملة والعقاب من جهة ، وجانب التعدي على الإنسانية بشكل عام من جهة أخرى ، فقد أكد الأمام عليه السلام على ما تعرضت له المرأة آنذاك من ضرب وقهر بشتى الوسائل إذ قال عليه السلام بهذا الشأن (أنّا كنّا لنؤمر بالكف عنهن وأنهن لمشركات ، وأن كان الرجل ليناول المرأة في الجاهلية بالفهر (الحجر) والهراوة (العصا) فيعير بها وعقبه من بعده)[٢٣] وفي هذا الكلام بيان واضح لكيفية معاملة المرأة في الجاهلية [٢٤]وهو يرتكز على عدة مرتكزات :-

١- استخدام لغة الشّدة والضرب مع المرأة ، واستعمال الأساليب العنيفة ضدّها.
٢- تربية الأبناء على استخدام هذه اللغة مع النساء ، وجعل هذا الأمر وراثيا" فيهم .
٣- هناك إشارة خفية في هذا الكلام توضح موقف الإسلام من ضرب المرأة ، والعنف معها ، اذ منع التعدي عليها حتى وأن كانت مشركة .

ثم أنتقل الأمام علي عليه السلام إلى ذكر مرحلة جديدة أفضع من سابقتها ، وهي عصارة ما جاء به الجاهليين الا وهي مسألة وأد البنات [٢٥] إذ ذكر ذلك حينما أخذ يعدد مساوئ الأمم السابقة بقوله(فالأحوال مضطربة، والأيدي مختلفة ، والكثرة متفرقة ،

في بلاء أزل (شديد) ، وأطباق جهل ! من بنات موؤدة ، وأصنام معبودة ، وأرحام مقطوعة ، وغارات مشنونة)[٢٦].

لقد وصف الأمام عليه السلام أحوال السابقين وصفا" دقيقا" تناول مساوئهم ، وشدّة زمانهم عليهم[٢٧] الاّ أن ما يعنينا هو مسألة وأد البنات التي ذكرها والتي أصبحت إحدى الأسباب كما يؤكد الأمام علي عليه السلام لنتائج مأساوية ومنها اضطراب الأحوال، واختلاف الناس فيما بينهم وتفرقهم على الرغم من كثرتهم ، وأطباق الجهل عليهم ، وربما أن الأسباب الأخرى مثل عبادة الأصنام ، وقطع الأرحام ، والحروب لم يكن وقعها بنفس وقع قتل البنات ودفنها في التراب ، وهو ما يغضب له الله تعالى ، اذ يقول في محكم كتابه الكريم (وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت)[٢٨] نعم ذنبها أنها عاشت في زمن قد أستحكم فيه الجهل ، وسادت فيه العصبية بصورة عامة،بما فيها عصبية الجنس .

ثانيا" – المرحلة التطورية وظهور المكاسب :

نستطيع أن نقسم هذه المرحلة إلى قسمين الأول يخص التطور الحاصل في النظرة إلى المرأة وحصولها على المكاسب ومشاركتها للرجل في أحداث عصرها ، بل وشهرتها وتفوقها على الرجل في أحيان كثيرة وهذا ما نفهمه من كلام الأمام علي عليه السلام ، والثاني يتعلق بطبيعة المواجهة لمحاولات القضاء على هذه المكاسب ، وإرجاع الوضع إلى ما كان عليه قبل ظهور الإسلام .

بالنسبة إلى القسم الأول فأن ما ذكره الأمام عليه السلام عن بعض النساء يعكس لنا وبشكل جلي مدى التغير الذي حصل في النظرة إلى المرأة بعد مجيء الإسلام، ومقدار المكاسب التي حصلت عليها من جراء هذا الوضع الجديد ، حتى فاقت الرجل بمواقفها والتي أصبحت قاعدة لثبات الإسلام،ومن هذه النساء السيدة خديجة عليها السلام [٢٩] زوجة الرسول صلى عليه واله وسلم التي أشار الأمام علي عليه السلام إلى سبقها في الإسلام ، وتمثيلها لذلك التطور في حياة المرأة ، وحياة المجتمع بشكل عام ، إذ قال عليه السلام في معرض كلامه عن علاقته بالرسول صلى الله عليه واله وسلم (ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه واله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة ، وأشم ريح النبوة)[٣٠] ومناسبة حديث الأمام علي عليه السلام هذه

تتعلق بقربه من الرسول صلى الله عليه واله وسلم ، وسبقه في الإسلام [٣١]، أما ما يخص السيدة خديجة عليها السلام وهي موضع الشاهد في هذا المقام فيمكن أن ندرسها استنادا" على هذا الكلام بالنحو التالي :-

١- أن السيدة خديجة عليها السلام أول من أطلع على نبوة الرسول صلى الله عليه واله وسلم ، وأول من أمن به وصدقه .

٢- أنها كانت صاحبة أول بيت في الإسلام قام على أساس الأيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى .

٣- يجب أن نضيف لما سبق أن السيدة خديجة عليها السلام لم تقتصر على إسلامها فقط ، وانما ساهمت مساهمة فاعلة في الدعوة بتبرعها بأموالها في سبيل نشرها[٣٢] .

ومما مرّ يمكن الخروج بعدة علامات بارزة في مضمار الحديث عن المرحلة التطورية لحياة المرأة:-

١- أن المرأة التي كانت مظلومة ومقهورة في العصور السابقة ، هي التي احتضنت الدعوة لعبادة الإله الواحد ، ونبذ الشرك في وقت وقف أغلب الرجال ضدّها .

٢- ضحّت المرأة بأموالها ، وتحملت المصاعب في سبيل الحفاظ على بيضة الإسلام ، بينما نجد أن أحد أسباب محاربة قريش للرسول صلى الله عليه واله وسلم هو الخوف على أموالهم ومكاسبهم الاقتصادية .

٣- شاركت المرأة الرجل في تثبيت أركان الإسلام ، وعملا معا" على تكوين العائلة الإسلامية لتكون البذرة الأولى للمجتمع الإسلامي .

٤- حفظ الإسلام للمرأة هذا الدور الفاعل في حفظ كيان الإسلام الناشئ ، مقيمّا" بذلك مشاركتها على أن لا فرق بينها وبين الرجل في ظل المبادئ الإسلامية السمحة .

والتطور الذي حصل في حياة المرأة بعد الإسلام هو الذي أنجب فاطمة بنت محمد عليهما السلام كما أكد ذلك الأمام علي عليه السلام حينما رد على كتاب معاوية قائلا" (ومنّا خير نساء العالمين ، ومنكم حمالة الحطب)[٣٣]وخير نساء العالمين هي

فاطمة الزهراء عليها السلام[٣٤] أما حمالة الحطب فهي أم جميل بنت حرب ، وزوجة أبي لهب[٣٥] ونستطيع القول أن هناك أمتدادين في هذا الإطار وكلاهما يناسب المطلب :-

الامتداد الأول : هو امتداد الجاهلية الذي أساء إلى المرأة ، وقلّل من قيمتها مما نجم عنه ظهور أمثال لا يحتذى بها ، لعنها الله تعالى في قرأنه الكريم وقد مثلته حمالة الحطب .

الامتداد الثاني : هو الامتداد للغة الإسلام الذي جاء بالمبادئ التي رفعت من شأن المرأة وزادت من قيمتها فأنجبت نساء" خالدات يقف لهن التأريخ بكل إجلال وأكبار، وقد تسيدّت هذه النساء فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام .

وقد عكست الزهراء عليها السلام الواقع الذي وصلت أليه المرأة في حينها من أثر هذا التطور ، حتى صار الأمام علي عليه السلام يناجي رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في قبره حين وفاتها عليها السلام من هول المصيبة التي ألمّت به إذ يقول (السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك ، والسريعة اللحاق بك ! قل يا رسول الله عن صفيّتك صبري ، ورّق عنها تجلدّي ، الا أن في التأسي لي بعظيم فرقتك ، وفادح مصيبتك موضع تعّز ، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك ، وفاضت بين نحري وصدري نفسك فأنا لله وأنّا أليه راجعون)[٣٦].

تلك المرأة التي أثرت ذلك التأثير ، هي في الواقع جزء مصغّر من كل متكامل شامل لكل نساء ذلك العصر ، وما تلاه من عصور إسلامية ، فقد نجد أن الأمام عليه السلام يشير إلى أن منهن من شاركت أو قادت حملات عسكرية ، أو كانت لها مواقف سياسية ، مثل السيدة عائشة زوجة الرسول صلى الله عليه واله وسلم ، وبغض النظر عن مشروعية هذه المواقف ، فقد أشار الأمام عليه السلام إلى قيادتها للجيوش بعد توليه الخلافة ، إذ قال مخاطبا" أهل البصرة ممن وقف ضده (كنتم جند المرأة...)[٣٧]ويقصد بالمرأة السيدة عائشة حينما قادت الجيش ، وحدثت أثر ذلك معركة الجمل [٣٨].

وقد حاول الأمام عليه السلام أن يفسر خروجها بهذا الجيش حينما قال (وأما فلانة فأدركها رأي النساء ، وضغن غلا في صدرها كمرجل (قدر) القين (الحداد) ، ولو دعيت لتنال من غيري ما أتت أليّ ، لم تفعل ، ولها بعد حرمتها الأولى ، والحساب على الله تعالى)[٣٩].

ولعل النص الأول شديد الوضوح ، اذ أنه يصوّر قيادة السيدة عائشة لحملة الجمل ، وهي معركة معروفة ، نستفيد منها اضطلاع النساء بأدوار كثيرة في هذه المرحلة بما فيها الجانب العسكري .

أما بالنسبة لما قاله الأمام عليه السلام في تفسيره لسبب خروجها بهذا الجيش فهو يقوم على عدة مبان يمكن أجمالها بما يأتي :-

١- تأكيده على ما أشرنا أليه فيما سبق بخصوص رأي النساء القاصر للأسباب التي ذكرناها في حينه ، وأن السيدة عائشة هي إحدى النساء اللاتي اعتمدن على رأيهن .

٢- أشار أيضا" في هذا المقام إلى مسألة العاطفة عند المرأة ، وهو ما مرّ أيضا" ، وأنها كانت سبب غضب السيدة عائشة منه ، وأستدل على ذلك بالقول أنه لو كان المعني شخصا" غيره لما أتت أليه بما فعلت معه .

٣- المبنى الثالث والمهم هو أن الأمام عليه السلام أشار إلى بقاء السيدة عائشة على حرمتها الأولى ، ومكانتها ، وقدسيتها ، كزوجة للرسول صلى الله عليه واله وسلم على الرغم من كل ما جرى ، لذلك نجد الأمام عليه السلام قد ردّ بشكل عنيف على معاوية حينما ذكر في كتابه أن السيدة عائشة قد طردت بعد المعركة ، إذ قال عليه السلام (وذكرت أني قتلت طلحة والزبير ، وشردّت بعائشة (طردها) ، ونزلت بين المصرين (الكوفة والبصرة) ، وذلك أمر غبت عنه فلا عليك ، ولا العذر فيه إليك)[٤٠] وهو توبيخ ورد فعل طبيعي لهذا الإدعاء ، لاسيما وأن موقف الأمام عليه السلام ، وإرجاعه السيدة عائشة إلى المدينة معززّة مكرمّة أشهر من أن يذكر [٤١].

ولم تكن المواقف السياسية للنساء غائبة عما ذكره الأمام علي عليه السلام ، وأنما ذكر موقفا" للسيدة عائشة من الخليفة عثمان ، إذ قال في هذا الصدد (وكان من عائشة فيه فلتة غضب)[٤٢] وهنا طرح واضح لرأيها السياسي في الحكومة القائمة آنذاك [٤٣].

أما فيما يتعلق بالقسم الثاني من هذا الموضوع فهو القسم الخاص بمواجهة محاولات القضاء على مكاسب المرأة التي جاء بها الإسلام وإرجاع الوضع الفاسد إلى ما كان عليه من قبل ، وهو الأمر الذي نلمسه من خلال ذكره الأمام علي عليه السلام ضمن

وصاياه عن كيفية التعامل مع النساء بما يتوائم مع المبادئ التي أراد لها الإسلام أن تطبق على الأرض .

ومن استقراء هذه الوصايا نجد أن الأمام علي عليه السلام قد ركّز فيها على مظاهر بعينها هي التي كانت تحمل الصفة السيئة في الفترة المظلمة ، وكأنه أراد التذكير بها لتجنبها ، لاسيما وأنه قد رأى بوادر ومحاولات إرجاعها ، وطمس القيم الأصيلة التي بان وجهها ، لذلك نجده يوصي الناس قائلا" (ولا تهيجوا النساء بأذى وأن شتمن أعراضكم، وسببن أمرائكم ..)[٤٤] وهذا العدوان على المرأة كان سائدا" قبل الإسلام [٤٥] ، لذلك أكد الإمام علي عليه السلام بضرورة الابتعاد عن كل ما يسيء إلى المكاسب التي نادى بها الإسلام بشأن المرأة ، وهو يشير أيضا" من طرف أخر إلى ضعف المرأة ، واستعمالها السلاح الذي يدل على ذلك ، أي الشتم والسب وهو ما يتوائم مع طبيعتها التكوينية .

وشدّد الإمام عليه السلام على مسألة استنكار الاعتداء على النساء وسلبهن بغض النظر عن كون هذه النساء مسلمات أو غير ذلك ، لأنها تشترك بصفة واحدة وهي كونها امرأة ضعيفة ، وهذا ما يفسر لنا سبب استنكاره للأخبار الواردة عن بعض الرجال من اصحاب معاوية والذين اعتدوا على النساء في ظل الدولة الإسلامية إذ قال (ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة ، والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها ، وقلبها(سوارها) وقلائدها ، ورعثها (خرزها)..)[٤٦]وقد ساوى الأمام عليه السلام بين المرأة المسلمة والمعاهدة فالاثنين على حد سواء[٤٧] ، وكان عليه السلام يعبر عما يختلج نفسه من رفض لهذا العمل ، الذي يعكس صورة جاهلية أكل الزمان عليها وشرب بعد مجيء الإسلام ، أما عن أهدافه من هذا الكلام فيبدو أنها تتدرج في ما يلي :-

١- تشخيص ظاهرة سلبية في المجتمع الإسلامي وبالتالي العمل على معالجة هذه الظاهرة .

٢- ألفات نظر أصحابه إلى بعض الضوابط التي يجب أن تحكم تعاملهم كمحاربين مع من يتعلق الأمر بهم ، ويمكن تحديد هذه الضوابط بما يأتي :-

١- عدم الاعتداء على النساء ، واعتبارهن طرف لا جناح عليه في الحرب .

٢- عدم التفريق بين النساء على أساس مرجعيتهن الدينيـــة ، أو القوميـــة ، أو مـــا شاكل .

٣- التأكيد على عدم أستحصال الأموال أو سلبها ، وبأي طريقة كانت .

وبشكل عام فأنه عليه السلام أراد الحث على تجنب النساء في مواطن الحـــروب لما فيه من تأثير كبير على المحاربين ، وقد بين ذلك يشكل مفصّل ، وحاول القضاء على ظاهرة كانت سائدة قبل الإسلام في الحروب وهي مسألة التركيز على النساء وانـــشغالهم بهن ، إذ أشار إلى ذلك بقوله حينما شيّع أحد الجيوش (أعذبوا (أعرضوا) عن النساء ما استطعتم)[٤٨] ومعناه امتنعوا عن ذكر النساء ، وشغل القلب بهن ، والمقاربة لهـــن ، لأن ذلك يفت في عضد الحميّة ، ويقدح في معاقد العزيمة أي في القلوب ، ويؤخر عن العدو، ويلفت أنظاره[٤٩].

ونستطيع أن نضع هذا القول في سلسلة الضوابط التي ذكرناها، والتي أراد منها الأمام عليه السلام التأكيد على أصحابه بأن يضعوها بعين اعتبـــارهم ، حتـــى لا يقعـــوا بالأخطاء التي تتنافى مع المكاسب التي حصلت عليها المرأة أولا" ، ولكي لا ينشغلوا عن أداء واجباتهم العسكرية المقدسة بأمور يمكنهم تجنبها أصلا" ثانيا" .

((المبحث الثالث))

المنظار الشرعي للمرأة :

لقد كانت التشريعات الخاصة بالمرأة نقطة الانطلاق في الجدل العقيم الذي أثاره البعض ممن تحججوا بحقوق المرأة وما شاكلها ، إذ حاول البعض انتقاد ما فرضه الإسلام على المرأة ، والاستشكال في سبب شمولها دون الرجل بذلك ناسين أو متناسين طبيعتهـــا وتركيبها المختلف الذي يتطلب تشريعات خاصة بها .

ومن هنا نجد أن الأمام عليه السلام قد أكد على هذه التشريعات ، لا من ناحية ذكرهـــا حسب ، وانما بيان فلسفتها أيضا" ، وهو رد على المتخرصين الذين يصطادون في الماء العكر ، ويمكننا أن ندرس هذا المنظار من ثلاثة وجوه :-

الوجه الأول : وهو الذي يتعلق بفلسفة تشريعات المرأة ، إذ ربط الأمام عليه السلام بين هذه التشريعات ، والأسباب الموجبة لتشريعها بما يحقق المصلحة الخاصة والعامة ، ولعل

خطبته الشهيرة عن نواقص النساء تغني الحديث عن فلسفة هذه التشريعات إذ خطب قائلا" (معاشر الناس ، أن النساء نواقص الأيمان ، نواقص الحظوظ ، نواقص العقول ، فأما نقصان أيمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام في أيام حيضهن ، واما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين كشهادة الرجل الواحد ، واما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الأنصاف من مواريث الرجال)[٥٠]

وهذا التعبير المجازي هو في الحقيقة تفسير لأسباب التشريعات المذكورة[٥١] والتي يمكن أن نحدّدها بالنقاط التالية :-

١- أن المرأة معرضة لبعض الحالات التي تفقد بها طهارتها ، مما يستدعي أحكاما" خاصة في صلاتها وصومها ، ومثال تلك الحالات أيام الحيض .

٢- وجود العاطفة القوية لدى النساء مما يعني وضع أحكاما" خاصة بها في مسألة الشهادة ، للحيلولة دون تأثرها بفعل هذه العاطفة .

٣- أن التصنيف في دور المرأة والرجل جعل الرجل هو المنفق عليها وهو المسؤول عن الجانب الاقتصادي مما يستدعي حكما" خاصا" أيضا" في التعامل مع ميراث الرجل ، وميراث المرأة ، إذ أن المرأة لا يجب عليها الأنفاق وبالتالي بديهيا" أن يأخذ الرجل النصيب الأوفر من الميراث.

بقي أن نعرف أن الأحكام الشرعية تناسبت مع تركيبة المرأة ، ولم تسلب حقها ، كما أنها تناسبت مع تركيبة الرجل فكان هو القيم والمنفق ، وما إلى ذلك ، وربما نجد أن الأمام عليه السلام قد ترجم هذه الفكرة بما طرحه في مناسبة أخرى عن النساء ، وذلك حينما قال (أنهن ضعيفات القوى ، والأنفس ، والعقول)[٥٢] وكذلك قوله مشبّها" عقول بعض أصحابه بعقول النساء بسبب ضعفهم (يا أشباه الرجال ولا رجال ، وعقول ربات الحجال)[٥٣] وهذه إشارة واضحة وصريحة .

أما بالنسبة للوجه الثاني فهو الذي يختص بالأحكام الشرعية ، والتي أصبحت أنوثة المرأة وما تمثله من فتنة تطيح بالمجتمعات ، أساسا" لتشريعها للحيلولة دون وقوع المفاسد، فقد نظر المشرع الإسلامي إلى المجتمع ، وضرورة الحفاظ على تماسكه ، ودرء الخطر الذي يحيط به ، فلم تكن المرأة هي المعنية بهذه الأحكام بقدر الاهتمام بالحفاظ عليها من عبث العابثين ، وضمان عدم المساس بها لذلك حرص الأمام علي عليه السلام

على التوصية بالأحكام الشرعية الخاصة بالمرأة لضمان تطبيقها ، وهذا هو السبب الذي جعله يشير أليها في وصيته لأبنه الأمام الحسن عليهما السلام ، اذ أن هذه الوصية ليست مقتصرة على الأمام الحسن عليه السلام ، وانما هي وصية عامة لكل المسلمين كما أسلفنا، فهو يقول عن هذا الموضوع (واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن ، فأن شدّة الحجاب أبقى عليهن ، وليس خروجهن بأشد من إدخالك من لا يوثق به عليهن ، وأن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل ، ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها ، فأن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة)[٥٤].

وعلى العموم فقد شملت هذه الوصية الكثير من الأحكام الشرعية التي تخص المرأة[٥٥] إذ سلسل الأمام عليه السلام هذه الأحكام بشكل مرحلي متتابع بهدف الشمولية ، وهذا التسلسل على النحو التالي:-

١- ضرورة فرض الحجاب على النساء بكل أشكاله سواء المظهري أو الذي يستدعي الاستقرار في البيوت ، تطبيقا" لقوله تعالى (وقرن في بيوتكن)[٥٦] وذلك لضمان المحافظة عليهن .

٢- التأكيد والحرص على تجنب إدخال الأجانب على النساء ،إذ أن إدخالهم لا يقل عن هتك حجابهن بالخروج .

٣- الوصية بعدم اختلاط النساء بالرجال أو التأكيد على تجنب ذلك ، حتى وأن أستدعى الأمر أن لا تعرف المرأة سوى زوجها .

٤- التعامل مع المرأة بقدر استطاعتها لا أن يفرض عليها ما لا طاقة لها به ، فهي ليست قهرمانة، أي لا يمكنها التصرف في الأمور ، والحكم فيها [٥٧].

وقد رتّب الأمام علي عليه السلام على كلامه السابق آثارا" ذكرها في وصية أخرى ، اذ مرّ أن الأحكام الخاصة بالمرأة أنما جاء تشريعها من طريقين ، هما الحفاظ على المرأة نفسها أولا" والحفاظ على أبناء المجتمع من الافتتان بفتنتها ثانيا" وبالتالي فحينما شرعّت الأحكام سالفة الذكر القاضية بفرض الحجاب على المرأة وعدم اختلاطها بالأجنبي أنما روعي بها ذلك ، لهذا نجده عليه السلام قد ذكر العلاج الواجب أتباعه في حال وقع المحذور وحدثت الفتنة أذ قال عليه السلام (فأذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس أهله ، فأنما هي امرأة كامرأته)[٥٨] وهذا حكم فقهي أراد منه المشرع الإسلامي الحيلولة

دون انتشار الفاحشة [٥٩] وذكره الإمام عليه السلام ليذكر بالأبعاد الخطيرة التي تعاني منها المجتمعات من جراء هذا المرض الذي حذر منه من قبل لا سيما وأنه يعمل كمعول هدم يفضي بالقيم والمبادئ إلى الهاوية التي تمثّل الجاهلية بعد أن حطمها الإسلام .

وكان الإمام عليه السلام دائم النهي والوصية بتجنب كل ما يسخط الله تعالى بخصوص أحكام النساء ، وكان يشخّص الخلل ثم يبرز أحكام الإسلام ويحث على جعلها حيّز التطبيق ، فقد روي انه عليه السلام لما ورد الكوفة قادما" من صفين مرّ بالشباميّن (وهو اسم حي هناك) فسمع بكاء النساء على قتلى صفين ، وخرج إليه أحد وجوه القوم فقال له عليه السلام (أتغلبكم نساءكم على ما أسمع ؟ الا تنهونهن عن هذا الرنين (البكاء))[٦٠] وهي عين ما مرّ حول دور النساء واختصاصهن ووجوب الحفاظ عليهن [٦١] ، أي أن يضطلع الرجل بدوره وواجباته الملقاة على عاتقه ، وأن لا يقف مكتــوف الأيدي لا يحرك ساكنا" .

أما الوجه الثالث والأخير فهو الوجه المرتبط بالمنظار الشــرعي للأموال المستخدمة للزواج أو ملك اليمين ، ومصير هذه الأموال فيما بعد ، فقد بيّن الأمام عليه السلام الوجه الشرعي في استخدامها مع العلم أن الأموال تشمل ما يتم امتلاكه من الإماء فهي تقع تحت هذا المسمى لذلك قال في وصية له بخصوص كيفية التصرف في أمواله كتبها بعد منصرفه من صفين (ومن كان من إمائي –اللاتي أطوف عليهن– لها ولد أو هي حامل ، فتمسك على ولدها وهي من حظه ، فأن مات ولدها وهي حية فهي عتيقة قد أفرج عنها الرّق وحررها العتق)[٦٢] وقد أوصى عليه السلام بهذا الأمر لكونه ذاهب إلى دار الحرب [٦٣] اذ ذكّر الأمام عليه السلام بأكثر من حكم في هذه الوصية :–

١– عدم ترك الوصية وضرورة تحديدها حتى لا تثار المشكلات فيما بعد .

٢– أن الأمة المملوكة صاحبة الولد أو الحامل به تبقى لولدها الذي هو نصيبها .

٣– في حالة موت أبن الأمة تعتق ولا تبقى رقيقة .

وقد أشترط الأمام عليه السلام في الحصول على النساء سواء بالزواج أو بالملك حلية الأموال ، وضرورة كونها غير مغصوبة، فقد قال في معرض حديثه عن قطائع عثمان التي ردّها للمسلمين بعد أن رفض توزيعها السابق (والله لو وجدته قد تزوج به

النساء ، وملك به الإماء لرددته فأن في العدل سعة ، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق)[٦٤]وكان ذلك عندما رفض طريقة توزيع الأموال التفضيلية السابقة [٦٥].

وقد يكون المقصد الخاص بالنساء غير مباشر الاّ أنه يعكس رغبته عليه السلام في أن تسير جميع الأمور بطريق واحد وهو طريق شرعي فلا فرق في الأموال اذا كانت مغصوبة بين أن يتم الزواج بها ، أو أن تستعمل لأمر أخر ، فحتى هذه الرابطة المقدسة وهي رابطة الزواج يمكن أن تحل اذا ما كانت أموالها حرام وذلك في سبيل ردّ الحقوق لأصحابها .

ثم يصوّر الأمام عليه السلام بعد ذلك وراثة المرأة ومن له الحق في هذه الوراثة ، وذلك بحسب المرحلية ووجود الورثة إلى أن يرثها شخص بعيد في أخر المطاف ، اذ يقول على سبيل المجاز يصف أهل العراق (أما بعد يا أهل لعراق فأنما أنتم كالمرأة الحامل ، حملت فلما أتمّت أملصّت (أسقطت) ومات قيمّها (زوجها) وطال تأيمها (أي انتظارها للزواج) وورثها أبعدها)[٦٦]وقد جاءت هذه الخطبة في ذم أهل العراق وتوبيخهم على ترك القتال برغم ظهور بوادر النصر في صفين [٦٧]وكأنما الأمام عليه السلام قد قسّم وراثتها إلى مراحل :-

١- الأبن وهو ميت لا يمكن أن يرث، ولو كان موجودا" لورثها .

٢- الزوج هو الذي يرث زوجته في حال موت الابن كما أسلفنا .

٣- الزوج الجديد الذي يتزوجها بعد موت زوجها ، مع عدم وجود الأبن .

٤- وراثة الأباعد لها في حال عدم وجود كل الذين ذكرناهم ، اذ تخرج من نطاق عائلتها .

وهنا إشارة مجازية رائعة لتخلي أهل العراق عن مكاسبهم التي قاتلوا من أجلها على الرغم من وصولهم أليها .

وهكذا فأن هناك أبعادا" كثيرة قد رسمتها تعبيرات الامام علي عليه السلام الخاصة بالمرأة وهي لا تتعلق من بعيد أو قريب بما يدور عن نيله عليه السلام من هذا الكيان الذي يمثل نصف المجتمع .

الهوامـــــش

١- الحر العاملي ، وسائل الشيعة ١٨٨/٢ .

٢- الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص٤٩١

٣- ينظر بيهقي خرساني ، معارج نهج البلاغـــة ٤٢١/١ ، الراونـــدي ، منهـــاج البراعة ٣١٥/٣ ، ابن ابي الحديد ٣١٢/١٨ ، السرخسي ، أعلام نهج البلاغـــة ٢٩٩/١ ، البحراني ، شرح نهج البلاغة ٣٠٨/٥ ، شرح نهج البلاغة المتوسط ص٦٠٨، محمد عبد ، نهج البلاغـــة ١٦٢/١ ، الخـــوئي ، منهـــاج البراعـــة ١٨٩/٢١ ، الحسيني شيرازي ، توضيح نهج البلاغة ٣٢٠/٤ ، التستري ، بهج الصباغة ١٧٦/١٤ .

٤- الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص٤٠٥ .

٥- ينظر الراوندي ، منهاج البراعة ١١٥/٣ ، ابن ابي الحديد ١٢٧/١٦ ، الخوئي ، منهاج البراعة ٤١/٢٠ ، الحسيني شيرازي ، توضيح نهج البلاغـــة ٨٢/٤ ، محمد جواد مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ٥٣١/٣ .

٦- الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص٤٠٥ .

٧- ينظر بيهقي خرساني ، معارج نهج البلاغـــة ٣٧٧/١ ، الراونـــدي ، منهـــاج البراعة ١١٥/٣ ، كيذري بيهقي ، حدائق الحقائق ٤٦٩/٢ ، ابن ابـــي الحديـــد ١٢٣/١٦ ، السرخسي ، أعلام نهج البلاغة ٢٥٢/١ ، البحراني ، شرح نهـــج البلاغة ٥١٩/١ ، الخوئي ، منهاج البراعة ٤١/٢٠ ، الحـــسيني شـــيرازي ، توضيح نهج البلاغة ٨١/٤ ، التستري ، بهج الصباغة ٢٥٢/٨ ، ابو الفـــضل ابراهيم ، شرح نهج البلاغة ٢٠١/٢ .

٨- الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص ٤٨٦ .

٩- ينظر ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢٦١/١٨ ، البحراني ، شـــرح نهـــج البلاغة ٢٩٢/٥ ، محمد عبده ، نهج البلاغة ٨٦/١ ، الحـــسيني الـــشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ٣٠٦/٤ ، محمد جواد مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ٤ / ٢٧٦ ، الموسوي ، شرح نهج البلاغة ٢٧٨/٥ .

١٠-الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص٤٠٥ .

١١-الراوندي ، منهاج البراعة ١١٥/٣ ، ابن ابي الحديد ١٢٦/١٦ ، البحراني ، شرح نهج البلاغة ٥١٩/١ ، محمد عبد ، نهج البلاغة ١٢٨/٣ ، الخوئي ، منهاج البراعة ٤١/٢٠ ، الحسيني شيرازي ، توضيح نهج البلاغة ٨٢/٤ ، التستري ، بهج الصباغة ٤٦٤/٨ ، محمد جواد مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ٣/ ٥٣١ .

١٢-الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص١٠٦ .

١٣-ابن ابي الحديد ٢١٤/٦ ، البحراني ، شرح نهج البلاغة ٢٢٤/٢ انصاريان ، شرح نهج البلاغة ٢٢١/١، الخوئي ، منهاج البراعة ٣٠٦/٥ ، الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ٣٠٤/١ ، ابو الفضل ابراهيم ، شرح نهج البلاغة ١٤٨/١ .

١٤-الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص١٠٦ .

١٥-البحراني ، شرح نهج البلاغة ٢٢٥/٢ ، الخوئي ، منهاج البراعة ٣٠٦/٥ ، الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ٣٠٤/١ .

١٦- الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص٥١٠ .

١٧-ينظر ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٣٦١/٥ ، البحراني ، شرح نهج البلاغة ٦٣٣/١ ، محمد عبده ، نهج البلاغة ١١٨/٢، الخوئي ، منهاج البراعة ٣٠٧/٢١ ، الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ٣١٨/٤ ، محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة ٣٦٠/٤ ، الموسوي، شرح نهج البلاغة ٣٨٩/٥ .

١٨-الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص٤٧٩ .

١٩-الراوندي ، منهاج البراعة ٢٨٥/١ ، كيذري بيهقي ، حدائق الحقائق ٦١٦/٢ ، ابن ابي الحديد ١٩٨/١٨ ، السرخسي ، أعلام نهج البلاغة ٢٩٤/١ ، البحراني ، شرح نهج البلاغة ٢٧٢/٥ ، الخوئي ، منهاج البراعة ٩٨/٢١ ، الحسيني شيرازي ، توضيح نهج البلاغة ٢٨٦/٤.

٢٠-الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص٢١٥ .

٢١-المصدر نفسه ص٥٠٩ .

٢٢-الراوندي ،منهاج البراعة ٣٥٠/٣ ، كيذري بيهقي ، حدائق الحقائق ٦٥٦/٢ ، ابن ابي الحديد ٦٥/١٩ ، البحراني ، شرح نهج البلاغة ٣٥٩/٥ ، الخوئي ، منهاج البراعة ٣٠٣/٢١، الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ٣٦٩/٤ ، ابو الفضل ابراهيم ، شرح نهج البلاغة ٣٥٨/٢ ، محمد جواد مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ٣٥٦/٤ ، الموسوي ، شرح نهج البلاغة ٣٨٧/٥ .

٢٣- الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص٣٧٣ .

٢٤- ينظر بيهقي خرساني ، معارج نهج البلاغة ١/ ٣٧١ ، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ١٠٥/١٥، البحراني ، شرح نهج البلاغة ٣٨٣/٤ ، شرح نهج البلاغة المتوسط ص٤٨٤ ، محمد عبده ، نهج البلاغة ١١٨/١، الخوئي ، منهاج البراعة ١٣٠/١٨ ، الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ٤٥٤/٣ .

٢٥- ينظر صالح أحمد العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ١٣٧/١ .

٢٦-ينظر ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٣٦١/٥ ، البحراني ، شرح نهج البلاغة ٦٣٣/١ ، محمد عبده ، نهج البلاغة ١١٨/٢، الخوئي ، منهاج البراعة ٣٠٧/٢١ ، الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ٣١٨/٤ ، محمد جواد مغنية،في ظلال نهج البلاغة ٣٦٠/٤ ، الموسوي ، شرح نهج البلاغة ٣٨٩/٥ .

٢٧- ينظر ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ١٧٨/١٣ ، البحراني ، شرح نهج البلاغة ٢٩٩/٤ ، محمد عبده ، نهج البلاغة ١٣/١، الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ٢١٥/٣ ، أنصاريان ، شرح نهج البلاغة ٣٤١/٢ ، محمد جواد مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ١٤٤/٣ .

٢٨- التكوير/٨-٩.

٢٩-ينظر حسين علي الشرهاني ، السيدة خديجة (ع) ، بجميع الصفحات.

٣٠-الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص٣٠٠ .

٣١-ينظر ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٣٦١/٥ ، البحراني ، شرح نهج البلاغة ٣١٦/٤ ، محمد عبده ، نهج البلاغة ٩٤/١، الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ٢٢٥/٣ ، التستري ، بهج الصباغة ١٤٦/٤ ، محمد جواد مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ١٥٤/٣ .

٣٢-ينظر حسين الشرهاني ، السيدة خديجة ع ، الفصل الخاص بدورها في الدعوة ص١٣٣ .

٣٣-الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص٣٨٧ .

٣٤-ينظر عبد الزهراء عثمان ، الصديقة الطاهرة ع ، بجميع صفحاته .

٣٥-ينظر بيهقي خرساني ، معارج نهج البلاغة ٣٧٤/١ ، الراوندي ، منهاج البراعة ٧٧/٣ ، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ١٩٧/١٥ ، البحراني ، شرح نهج البلاغة ٤٤١/٤ ، محمد عبد ، نهج البلاغة ٨٦/١ .

٣٦-الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص٣١٩ .

٣٧-المصدر نفسه ص٥٥.

٣٨-ينظر كيذري بيهقي ، حدائق الحقائق ١٩٦/١ ، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢٥٢/١، البحراني ، شرح نهج البلاغة ٢٩٠/١ ، شرح نهج البلاغة المتوسط ص١٠٦ ، الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ٩٤/١ ، التستري ، بهج الصباغة ٤٩٨/٥ ، ابو الفضل أبراهيم ، شرح نهج البلاغة ٤٨/١ .

٣٩-الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص٢١٨ .

٤٠-المصدر نفسه ص٤٥٤ .

٤١-ينظر ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢٣٥/١٧ ، البحراني ، شرح نهج البلاغة ٢٠٨/٥ ، محمد عبده ، نهج البلاغة١١٥/١ ، محمد جواد مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ٤/ ١٦٢ الموسوي ، شرح نهج البلاغة١٤٦/٥ .

٤٢-الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغةص٣٦٣ .

٤٣-الراوندي ، منهاج البراعة ١٣/٣ ، كيذري بيهقي ، حدائق الحقائق ٣٨٠/٢ ، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٧/١٤ ، محمد جواد مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ٣٧٧/٣ .

٤٤-الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص٣٧٣ .

٤٥-ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ١٠٤/١٥، البحراني ، شرح نهج البلاغة ٣٨٤/٤ ، شرح نهج البلاغة المتوسط ص٤٨٤ ، الخوئي ، منهاج البراعة ١٢٩/١٨ ، حسيني شيرازي ، توضيح نهج البلاغة ٤٥٣/٣ .

٤٦-الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص٦٩ .

٤٧-ينظر بيهقي خرساني ، معارج نهج البلاغة ١١٧/١ ، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٧٨/٢ ، البحراني ، شرح نهج البلاغة ١٣١/١ ، محمد عبده ، نهج البلاغة ١٧٤/١ ، الخوئي ، منهاج البراعة ١٣٩/٣ ، حسيني شيرازي ، توضيح نهج البلاغة ١٥٢/١ .

٤٨-الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص٥١٩ .

٤٩-المصدر نفسه والصفحة .

٥٠-المصدر نفسه ص١٠٥ .

٥١-ينظر ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢١٤/٦ ، البحراني ، شرح نهج البلاغة ٢٢٣/٢ ، الحر العاملي ، وسائل الشيعة ٣٤٤/٢ ، الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ٣٠٢/١ ، أنصاريان ، شرح نهج البلاغة ٢٢١/١ ، محمد جواد مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ٣٧٥/١ .

٥٢-الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص٣٧٣ .

٥٣-المصدر نفسه ص٦٩ .

٥٤-المصدر نفسه ص٤٠٥ .

٥٥- الراوندي ، منهاج البراعة ١١٥/٣ ، ابن ابي الحديد شرح نهج البلاغة ١٢٤/١٦ ، البحراني ، شرح نهج البلاغة ٥١٩/١ ، الخوئي ، منهاج البراعة ٤١/٢٠، الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ٨١/٤ ، ابو الفضل ابراهيم ، شرح نهج البلاغة ٢٠١/٢ ، محمد جواد مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ٥٣١/٣.

٥٦-الأحزاب/٣٣ .

٥٧-الراوندي، منهاج البراعة ١١٥/٣ ، ابن ابي الحديد شرح نهج البلاغة ١٢٦/١٦ ، البحراني ، شرح نهج البلاغة ٥١٩/١ ، التستري ، بهج الصباغة ٤٦٤/٨ ، محمد الدشتي ، المعجم المفهرس لنهج البلاغة ص١٢٩ .

٥٨-الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص٥٥٠ .

٥٩-ينظر البحراني ، نهج البلاغة٥/٤٤٦ ، الحر العاملي ، وسائل الشيعة ١٠٦/٢ ، الخوئي ، منهاج البراعة ٤٩٩/٢١ .

٦٠-الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص٥٣٢ .

٦١- ينظر ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢٣٤/١٩ ، البحراني ، شرح نهج البلاغة ٤٠٣/٥ ، الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ٤١٨/٤ ، محمد جواد مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ٤٠٨/٤ .

٦٢-الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص٣٨٠ .

٦٣-ينظر الراوندي، منهاج البراعة ٥٢/٣ ، ابن ابي الحديد شرح نهج البلاغة ١٤٩/١٥ ، البحراني ، شرح نهج البلاغة ٤٩١/١ ، محمد عبده ، نهج البلاغة١٢٠/١ .

٦٤-الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص٥٧ .

٦٥-ينظر ابن ابي الحديد شرح نهج البلاغة ٢٦٩/١٥ ، البحراني ، شرح نهج البلاغة ٢٩٥/١ ، من اعلام القرن الثامن ، شرح نهج البلاغة ١٧٦/١ ، التستري ، بهج الصباغة ١٥٨/٩ .

٦٦-الأمام علي عليه السلام ، نهج البلاغة ص١٠٠ .

٦٧-ينظر ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ١٢٧/٦ ،محمد عبده ، نهج البلاغة ٤٣/١ .

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

*ابراهيم ، ابو الفضل

شرح نهج البلاغة ، بيروت ، ١٤١٦هـ .

* أنصاريان ، علي

شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الانوار ، وزارة الثقافة والارشاد ، ط١، طهران ، ١٤٠٨.

* البحراني ، كمال الدين ميثم بن علي ت ٦٩٩هـ ـ ١٢٩٩م

شرح نهج البلاغة(الكبير) ، ط٢، طهران ، ١٤٠٤هـ .

شرح نهج البلاغة(المتوسط) ، مجمع البحوث الاسلامية ، مشهد ، ١٣٦٦هـ .

*بيهقي خرساني ، ظهير الدين ابي الحسن علي ت ٥٥٢هـ ـ ١١٥٧م

معارج نهج البلاغة ، ط١، طهران ، ١٤٠٩هـ .

*التستري ، الشيخ محمد علي

بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، دار أمير كبير للنشر ، طهران ، ١٣٧٦هـ .

* ابن أبي الحديد ، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي ت ٦٥٦هـ ـ ١٢٥٨م

شرح نهج البلاغة، تحقيق ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء التراث ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ .

*الحر العاملي ، ت ١١٠٤هـ ـ ١٦٩٢م

وسائل الشيعة ، تحقيق ونشر محمد رضا الحسيني ، ط٢، مؤسسة ال البيت ، قم ، ١٤١٢هـ

*الحسيني الشيرازي، السيد محمد توضيح نهج البلاغة،دار تراث الشيعة، طهران، د.ت .

*الخوئي ، حبيب الله الهاشمي ،منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ط٤ ، المكتبة الاسلامية ، طهران ، ١٤٠٥ .

*الدشتي، محمد ، معجم نهج البلاغة، مطبعة مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، ١٤٠٧هـ .

*الراوندي ، قطب الدين ابي الحسن سعيد بن هبة الله ت٥٧٣هـ ـ ١١٧٧م

منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، قم ، ١٤٠٦هـ .

*السرخسي ، المحقق علي بن ناصر ت القرن السابع الهجري ــ القرن الثالــث عــشر الميلادي
أعلام نهج البلاغة ، مؤسسة الطبع والنشر ، طهران ، ١٣٦٦هــ .
* الشرهاني ، حسين علي
السيدة خديجة عليها السلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، البصرة ٢٠٠١ .
* عبده ، محمد
نهج البلاغة ، بغداد أ ١٩٨٤ .
* عثمان ، عبد الزهراء
الصديقة الطاهرة عليها السلام ، قم ، ١٩٩٨ .
*علي عليه السلام ، الامام ت ٤٠هــ ــ ٦٦٠م
نهج البلاغة ، نهج البلاغة ، ضبط صبحي الصالح ، بيروت ، ١٩٦٧م .
* العلي ، صالح أحمد
محاظرات في تاريخ العرب ، الموصل ، د.ت .
*كيذري بيهقي ، الشيخ ابي محمد بن الحسين ت القرن السادس الهجري ــ القرن الثاني عشر الميلادي .
حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، مؤسسة نهج البلاغة ، قم ، ١٣٧٥هــ .
*مغنية ، محمد جواد
في ظلال نهج البلاغة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٢ .
*من اعلام القرن الثامن ت القرن الثامن الهجري ــ القرن الرابع عشر الميلادي
شرح نهج البلاغة ، تحقيق الشيخ عزيز الله العطاردي ، ط١ ، طهران ١٣٧٥هــ .
*الموسوي ، السيد عباس علي
شرح نهج البلاغة ، دار الرسول صلى الله عليه واله ،ط١، بيروت ،١٤١٨هــ .